الحركات السلفية والقتالية (١)

# حركة أحرار الشام:

## التحوّلات الهيكلية والسياسية الراهنة

### تمهيد

ثمّة مؤشرات عديدة تفيد بأن الخيار الدوليّ عبر تركيا وقطر قد وقع على حركة أحرار الشام لتكون الممثّل الشرعيّ للمعارضات السوريّة، بعد فشل خيار إنشاء ما سمّي بـ«جيش الفتح» الذي تندمج فيه أحرار الشام وجبهة النصرة وفصائل أخرى حليفة للطرفين. ويأتي هذا الخيار انطلاقاً من العلاقات التي تقيمها أحرار الشام مع كلّ من تركيا وقطر والتوجّهات الانفتاحيّة التي تبديها إزاء الخيارات التفاوضيّة حتى مع ألدّ أعدائها، وهذا ما تجلّى في تولّيها أمر التفاوض في أواخر شهر آب ٢٠١٥ مع الجانب الإيرانيّ وحزب الله بشأن الزبداني والفوعة وكفريّا، وأيضاً في إعادة تأكيدها الحرص على البعد الوطنيّ والتزامها العمل ضمن السقف الداخليّ في سوريا، وذلك نأياً بنفسها عن الخيارات التي اعتمدتها قوى وفصائل أخرى، كداعش والنصرة ومن قبلهما القاعدة، وبالتالي، استعداد أحرار الشام للقبول بالخيارات السياسية ضمن السقف الذي تقبل به تركيا، وفتح باب التواصل مع الغرب عبر صحيفتي الواشنطن بوست الأميركية والتلغراف البريطانيّة. ويأتي هذا التوجّه في ظلّ تراجع الخيارات البديلة الأخرى، كـ«جبهة النصرة» (ممثل القاعدة في سوريا) و«جيش الإسلام»، وبعد فشل خيار «جيش الفتح» الذي انفرط عقده، بفعل الاشتباك والاتهام المتبادل بين أحرار الشام من جهة وأبرز مكوّناته الأخرى، كـ«جبهة النصرة» و«جند الأقصى» من جهة أخرى، وفي ظلّ بروز بوادر تخلّ تركيّ عن «جبهة النصرة» التي، خلافاً لأحرار الشام، أظهرت عدم التزام تامّ بالخيارات التركيّة، وتجلّى ذلك في رفضها الطرح التركيّ بإقامة منطقة عازلة في سوريا، والتشنيع على حركة «أحرار الشام» بسبب قبولها لهذا الخيار.

وفي مستطاعنا القول إنّ إمكانات الجانب التركيّ في الإمساك بخيوط اللعبة الأمنيّة والعسكريّة لدى الفصائل السوريّة المعارضة، مدعوماً من قطر، جعله الفريق الأقدر على الإمساك بالخيارات المطروحة في الساحة السوريّة. وعلى ما يبدو، فإنّ حركة «أحرار الشام» هي اليوم الفريق الأقرب إلى خيارات الجانب التركيّ، من حيث الخطاب السياسي المعلن، الذي ينحو إلى الاعتدال ومخاطبة الآخر والالتزام بالأطار الوطني حصراً، وهي الفصيل الأقدر على وراثة «جبهة النصرة»، المصنّفة فصيلاً قاعديّاً ضمن المنظّمات الإرهابيّة.

## التحوّلات العامّة

نشطت حركة أحرار الشام في بداية مسيرتها في المجال الدعويّ، من خلال مجموعة من قادتها ذوي الميول السلفيّة التي كانت تلتقي في فكرها، إلى حد كبير، مع كلّ من «داعش» و«جبهة النصرة». ومن أبرز مؤسسيها ومنظّريها الأوائل محمد بهايا المعروف بـ« **أبو خالد السوري** » الذي عايش الفترة الجهاديّة في أفغانستان منذ البدايات، وكان مقرباً من زعيم القاعدة أسامة بن لادن، ثم أبو بصير الطرطوسي (واسمه الحقيقي عبد المنعم مصطفى حليمة) ويطلق عليه «مفتي الثورة»، وهو الآخر ذهب إلى أفغانستان عام ١٩٨١. ويُقال إنّه كان «أوّل مجاهد عربي فيها»، وتعرّف في بيشاور إلى عبدالله عزام، وهو ممّن يتبنّى فكر محمد بن عبد الوهاب.

وقد عملت أحرار الشام، قبل انطلاق ما سمّي بـ«الثورة السورية»، على نشر الفكر السلفيّ، ورفعت في البداية شعار «مظلوميّة السُنّة»، كغيرها من التنظيمات السلفيّة الأخرى التي وجدت في هذا الشعار تحفيزاً لأهل السُنّة لحمل السلاح ومناصرة الثورة.

في التاسع من نيسان ٢٠١٣، وعلى إثر إعلان أبي بكر البغدادي حلّ «جبهة النصرة» وقيام الدولة الإسلاميّة في العراق والشام، اتّخذت «أحرار الشام» موقفاً مغايراً، رفضت فيه إعلان البغدادي، واعتبرت «أنّ هذه الخطوة من شأنها (أقلمة الصراع)، وتمثّل ابتعاداً عن أولوية إسقاط النّظام، التي لا شيء بعد الإيمان أوجب منها ولا شيء يقدّم عليها، وأنّها شكلٌ من أشكال فساد الوضع، حيث إنّ إعلان البغدادي لم يجمع المتفرّقين ولا ألّف بين المتنازعين، مع التأكيد على أنّ قيام دولة إسلاميّة راشدة تقيم العدل والقسط بين رعايانا هدفٌ نسعى إليه بوسائل مشروعة، ونراعي في ذلك مقتضيات الوضع وحالة الأمّة المغيّبة عن دينها في هذا البلد طوال نصف قرنٍ من الزمان».

ويمكن اعتبار هذا الموقف نقطة التحوّل في العلاقة بين أبناء المدرسة الواحدة، وبداية الخلاف الجذري بين «أحرار الشام» و«داعش»، رغم حرص الأول على إبراز شيء من التمسّك بالعلاقة بين الإخوة الأعداء، فعُيِّنَ أبو مصعب السوري من قبل زعيم القاعدة أيمن الظواهري وسيطاً وحكماً بين الطرفين، لكنّ ما لبثت الوساطة أن سقطت، وتفاقم الخلاف والصراع وتبادل الاتهامات بالردّة والضلال، والدخول في مواجهة شاملة. وفي إطار هذا الصراع الشامل بين الطرفين تمكّنت داعش من اغتيال أبي مصعب السوري، الأمر الذي يمكن عدّه واقعة مفصليّة في تاريخ حركة أحرار الشام، لجهة التحوّلات الأيديولوجيّة ومنطلقاتها الفكريذة.

لقد أرْخت الواقعة بظلالها، فبدأ قادة أحرار الشام الكبار أشبه بورشة مراجعة للأفكار، وإطلاق المواقف التي تصبّ في خانة الانفتاح، ومن أولى وأبرز الخطوات التي قامت بها الحركة في هذا السبيل إطلاق ما سمّي بـ«ميثاق الشرف الثوري» الذي وقّعت عليه يوم السبت الواقع في ١٧ أيار ٢٠١٤ مجموعة من الفصائل المعارضة المقاتلة ضدّ النّظام في سوريا[١]، ومنها أحرار الشام. وعدّ هذا الميثاق المؤلف من أحد عشر بنداً[٢] نقلة مهمّة على صعيد بناء إطار

١– الفصائل الموقعة على ميثاق الشرف الثوري هي: «الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وفيلق الشام، وجيش المجاهدين، وألوية الفرقان، والجبهة الإسلامية».

٢ – نص الميثاق على الآتي:

ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف بعيداً عن التنطع والغلو.

للثورة السورية المسلحة غاية سياسية هي إسقاط النظام برموزه وركائزه كافة وتقديمه الى المحاكمة العادلة بعيداً عن الثأر والانتقام.

تستهدف الثورة عسكرياً النظام السوري الذي مارس الإرهاب ضد شعبنا بقواه العسكرية النظامية وغير النظامية ومن يساندهم كمرتزقة إيران وحزب الله ولواء أبي الفضل العباس، وكل من يعتدي على أهلنا ويكفرهم كداعش، وينحصر العمل العسكري داخل الأرض السورية.

العمل على إسقاط النظام عملية تشاركية بين مختلف القوى الثورية، وانطلاقاً من وعي هذه القوى للبعد الإقليمي والدولي للأزمة السورية

فكريّ وسياسيّ للقوى المقاتلة ووضع خطّة موحّدة للتغيير وإسقاط النّظام، اعتماداً على العنصر السوري والقرار السوري، ضمن نطاق جغرافيّة الدولة السوريّة الموحّدة، وتنطلق على أساس مبادئ بعيدة عن الغلو، وتنادي بإقامة دولة العدل والقانون والحريّات والأمن للمجتمع السوري بنسيجه الاجتماعي المتنوّع بكافّة أطيافه العرقيّة والطائفيّة، واحترام حقوق الإنسان.

وقد رفع قائد أحرار الشام العام آنذاك حسّان عبود[٣]، في سياق المراجعات الفكريّة ما يشبه الشّعار بقوله «أنا مسلمٌ وكفى» في دلالة على عدم التزمّت في الخصائص الدينيّة للراغبين بالانتماء إلى الحركة، بل ذهب بعض منهم إلى إعلان ما يشبه الندم والتوبة؛ ففي الخامس من أيلول ٢٠١٤ نشر قيادي الحركة أبو يزن الشامي[٤] رسالة شهيرة قال فيها: «نحن أحرص على الساحة الشاميّة؛ لأنّها بلدنا وثورتنا، وفيها استُشهد أعزّ إخواننا من كلّ الفصائل، نعم أنا كنت سلفيّاً جهاديّاً، وحُبست على هذه التّهمة في سجون النظام، واليوم أستغفرُ الله وأتوب إليه وأعتذر لشعبنا أنّنا أدخلناكم في معارك دونكشوتيّة كنتم في غنى عنها. أعتذر أنّنا تمايزنا عنكم يوماً؛ لأنّي عندما خرجت من السجن الفكري الذي كنت فيه واختلطت بكم وبقلوبكم قلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق– عندما قال: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم». أعتذرُ منكم، أعتذر، وإن شاء الله قابل الأيام خيرٌ من ماضيها لثورتنا ولإسلامنا».

لم يكن هذا هو موقف عبود وأبي يزن وحدهما، بل كان توجّهاً عاماً، اتّفق عليه قادة الحركة الكبار. وقد شهدت حركة «أحرار الشام» تغيّراً في خطابها، فعرّفت نفسها على موقعها الألكتروني بأنها «حركة إسلاميّة إصلاحيّة تجديديّة شاملة، أحد الفصائل المنضوية والمندمجة ضمن الجبهة الإسلامية وهي تكوين عسكريّ، سياسيّ، اجتماعيّ، إسلاميّ

فإننا نرحب باللقاء والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية المتضامنة مع محنة الشعب السوري.بما يخدم مصالح الثورة.

المحافظة على وحدة التراب السوري، ومنع أي مشروع تقسيمي بكل الوسائل المتاحة، هو ثابت ثوري غير قابل للتفاوض.

قوانا الثورية تعتمد في عملها العسكري على العنصر السوري، وتؤمن بضرورة أن يكون القرار السياسي والعسكري في الثورة سورياً خالصاً، رافضة أي تبعية للخارج.

يهدف الشعب السوري إلى إقامة دولة العدل والقانون والحريات.بمعزل عن الضغوط والإملاءات.

الثورة السورية هي ثورة أخلاق وقيم تهدف إلى تحقيق الحرية والعدل والأمن للمجتمع السوري بنسيجه الاجتماعي المتنوع بكافة أطيافه العرقية والطائفية.

تلتزم الثورة السورية باحترام حقوق الإنسان التي يحضّ عليها ديننا الحنيف.

نرفض سياسة النظام باستهداف المدنيين.بمختلف الأسلحة.بما في ذلك السلاح الكيماوي ونؤكّد على التزامنا بتحييد المدنيين عن دائرة الصراع وعدم امتلاكنا أو استخدامنا لأسلحة الدمار الشامل.

كل ما يسترد من النظام هو ملك للشعب السوري، تستخدمه القوى الثورية لتحقيق مطالب الشعب بإسقاط النظام.

٣ – ينحدر حسان عبود، ويلقب بـ«أبو عبد الله الحموي» من محافظة حماة وسط سورية. درس الأدب الإنجليزي، وعمل مدرساً قبل أن يعتقل سنة ٢٠٠٤، وأطلق سراحه مع بداية الحراك السوري المعارض في آذار ٢٠١١. شغل موقع المسؤول السياسي لحركة «أحرار الشام» وقائدها العام. قتل بتاريخ ٩ أيلول ٢٠١٤ بالتفجير المجهول الذي استهدف اجتماعاً لقادة الحركة في ريف إدلب شمالي.

٤ – أبو يزن الشامي (محمد الشامي) من مواليد ١٩٨٦، درس في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وسجن في سجن صيدنايا العسكري بسبب انتمائه للفكر السلفي، تتلمذ على يد «الشيخ أبو العباس الشامي»، الذي درس على يديه أغلب قادة الحركة الشامية. خرج أبو يزن من الاعتقال بداية الحراك السوري المعارض، وكان ممن أسس كتائب «أحرار الشام» في ٢٠١٢، ثم شرعياً في حركة «أحرار الشام»، ثم قائداً عاما للحركة في حلب، ثم أصبح أحد أعضاء مجلس الشورى للجبهة الإسلامية التي أسست في نهاية عام ٢٠١٣.قتل أبو يزن في التفجير الذي استهدف قادة الحركة يوم الثلاثاء ٩ أيلول ٢٠١٤ في ريف إدلب.

شامل»، ولخّصت أهدافها بأمرين: «إسقاط النّظام الأسديّ في سوريّة إسقاطاً كاملاً، وبناء دولة إسلاميّة»[٥].

كما أولت الحركة أهميّة عالية للحاضنة الشعبيّة، وعملت على الاقتراب منها، ورفعت شعار «ثورة شعب» بدلاً من شعار «الجهاد». وتتبدّى هذه الأهميّة في ما ذكره أبو يزن الشامي في هذا الصدد بقوله: «ثورةٌ قام بها كلّ الناس، واحتضنها المدنيّون، وكانوا أكثر من ضحى فيها وصبروا عليها رغم المصاب وقلّة الحال، لا تتحقّق أهدافها إن تفرّد بها واحدٌ منهم. ثورة شعبيّة يقتلها الذين يختزلونها في جماعتهم وهم يظنّون أنّهم يحسنون صنعاً»[٦].

واللافت أنّه بعد أربعة أيّام من نشر أبي يزن الشامي رسالته الآنفة وبعد يومين من حديثه عن الحاضنة الشعبيّة، قتل مع حسان عبود في التفجير الذي استهدف قادة هذه الحركة يوم الثلاثاء ٩ أيلول ٢٠١٤ في ريف إدلب.

ومن أهمّ وأبرز الخطوات الإضافيّة، التي أرادت حركة «أحرار الشام» التعبير فيها عن مراجعاتها الفكريّة وتوجّهاتها الأيديولوجيّة الجديدة، الحملة الإعلاميّة التي قام بها مسؤول مكتب العلاقات الخارجيّة في الحركة لبيب النحاس من خلال مخاطبة الغرب عبر كتابة مقالات بالصحف الغربيّة، حيث نشرت صحيفة «واشنطن بوست»، في العاشر من شهر تموز ٢٠١٥، مقالاً للنحاس بعنوان «النتائج القاتلة للتصنيف الخاطئ للثوار في سوريّة»، داعياً الإدارة الأميركيّة إلى اعتماد حركة الأحرار كبديل عن كلٍّ من تنظيم «داعش» والنّظام السوريّ، متعهّداً في الوقت نفسه بأن تتبنّى حركة «الأحرار» مشروعاً وطنيّاً سوريّاً جامعاً. كما نشرت «ديلي تلغراف» البريطانيّة مقالاً آخر لنحاس، انتقد فيه سياسات الحكومة البريطانيّة إزاء ما يجري في سوريا، وأكد فيه «أن مواجهة داعش لا تكون بالقنابل فقط؛ ذلك أن وجود داعش، هو ظاهرة اجتماعيّة وفكريّة يجب مواجهتها على مختلف المستويات، وهذا يتطلّب بديلاً سنّياً في سوريا يحلّ محلّ النّظام وداعش في نفس الوقت».

## التحوّلات الداخلية لدى أحرار الشام

تحاول حركة «أحرار الشام» طرح نفسها قوّة، يمكن الاعتماد عليها في سوريا بإدارة «منطقة آمنة»، وهذا ما دفعها إلى إعادة هيكلة تنظيمها من الداخل ومحاولة إيجاد قوّات قتاليّة نظاميّة أكثر منها ميليشيات تعتمد حرب العصابات. وتتطلّع الحركة، من منظور استراتيجيّ، إلى حكم سوريا بدعم تركي، وبرضى غربي، لكن دون ذلك موانع كثيرة، قد تحول بينها وبين ما تصبو إليه، أهمها هزائمها المتوالية في الميدان أمام الجيش السوريّ وحلفائه، وانقساماتها الداخليّة وما لها من مفاعيل بنيويّة، وإمكانيّة التصادم في مرحلة لاحقة مع قوى أخرى منافسة، كجبهة النصرة المدعومة من القاعدة، وجيش الإسلام صاحب السطوة في الغوطة الشرقيّة والمدعوم إقليميّاً من السعوديّة.

من أبرز التحوّلات التي عرفتها أحرار الشام:

### أولاً، إظهار البعد الوطني

تحرص حركة «أحرار الشام»، منذ بداية التحوّلات التي أحدثتها، على إضفاء الأبعاد الوطنيّة على حراكها، واقتصار نشاطها على الداخل السوري، وتقديم نفسها على أنها قوّة قائدة، تعمل لصالح المجتمع وإنقاذ الشعب السوريّ من نظام الرئيس الأسد. وفي هذا السياق، أصدرت الحركة يوم الاثنين ٢٤ آب ٢٠١٥ بياناً حدّدت فيه أولوياتها وأهدافها التي تتمحور حول إسقاط النّظام بكافّة رموزه، واعتبار مؤسسات الدولة ملكاً للشعب السوريّ، ونفي صلتها بأيّ حركة خارجيّة غير سوريّة، لا سيّما تنظيم القاعدة، وأنّها حركة إسلاميّة سوريّة أصيلة، انبثقت من الشعب السوريّ، للدفاع عنه وعن مصالحه وهويّته، وأن بناءها الأساسي والقيادي يعتمد على أبناء الشعب السوريّ. وأوضحت في

٥- http://ahraralsham.net.

٦ – أبو يزن الشامي،الحاضنة الشعبية، صفحة أبو يزن الشامي: https://aboyazan٤science.wordpress.com، ٧ أيلول ٢٠١٤.

بيانها أنها تسعى، من خلال عملياتها العسكر يّة والسياسيّة، إلى تمكين الشعب السوريّ من تقرير مصيره.بما ينسجم مع تاريخه وهويّته الإسلاميّة ونسيجه الاجتماعي. وصنّفت الدول إلى: دول مُعينَة على جرائم النّظام، وأخرى صامتة غير آبهة.بمقتل مئات الآلاف من السوريين وتشريد الملايين، وثالثة تسعى لنصرة المظلوم وتخفيف المعاناة. من الفئة الثالثة خصّت الحركة في بيانها دولتَيْ تركيا وقطر[٧].

**ثانياً، استبعاد القيادة المتطرفة**

بدا أن قرار حركة أحرار الشام استبدال زعيمها السابق الشيخ هاشم الشيخ «أبو جابر».بمهنّد المصري الحموي، قد جاء في سياق توجّهاتها البراغماتيّة الجديدة؛ ذلك أن المصري لا يتعارض وجوده مع توجّهات إقامة منطقة آمنة والتحالف مع تركيا.

فقد عيّنت الحركة «المهندس مهنّد المصري، الملقّب «أبو يحيى الحموي»[٨] في منتصف شهر أيلول ٢٠١٥ قائداً جديداً لها، وقالت في بيان: «بعد انتهاء ولاية الشيخ هاشم الشيخ «أبو جابر» قائد حركة أحرار الشام الإسلاميّة واعتذاره عن قبول التمديد، اجتمع مجلس شورى الحركة وتوافق على اختيار الأخ المهندس مهند المصري «أبو يحيى الحموي» قائداً عامّاً للحركة».

بعض التقارير كشفت أن سبب تغيير قائد الحركة يعود إلى موقف زعيمها السابق من المشروع التركي بإنشاء «المنطقة العازلة» وبوادر تدهور العلاقة بينها وبين «جبهة النصرة» حليفها العسكريّ الأساسيّ داخل «جيش الفتح». وبحسب التقارير الإعلاميّة على موقع الجماعات المتطرّفة، فإنّ الزعيم الجديد مهنّد المصري مقرّب من الاستخبارات التركيّة.

وفي كلمته الأولى بعد انتخابه قائداً عاماً للحركة أكد المصري أنّ «أحرار الشام» ستعمل على بناء دولة العدل والقانون والمؤسّسات التي تحكم بشرع الله، متوعّداً بهزيمة روسيا في سوريا.

وأثنى على العمل المؤسساتيّ الذي تنتهجه الحركة، وحرصها على الاقتراب من الحاضنة الشعبيّة، التي تزيدها رسوخاً في الأرض وارتقاء في السماء وفق قوله ، في حين وجّه ثلاث رسائل مختلفة الهدف والاتّجاه. في رسالته الأولى توجّه إلى كوادر الحركة بالقول «لقد تشرّفت بجهادي معكم، وكنت ولا زلت جنديّاً بينكم، فأعينوني بالنّصح والإرشاد والسمع والطاعة».

وبعث رسالته الثانية إلى الفصائل العسكريّة والمؤسّسات الثوريّة، مؤكّداً على أنّ النصر يأتي بالاجتماع والشراكة في القرار والتنفيذ.

وتوجّه المصري في الرسالة الثالثة إلى الشعب السوريّ في الدّاخل والخارج، وقال «أنتم الغاية وأنتم السند بعد الله، أنتم القادة ونحن الجنود»، في حين تعهّد بالعمل على إسقاط نظام الرئيس السوري بشار الأسد بكامل رموزه

٧– حركة أحرار الشام تؤكد سوريتها وتوضح أهدافها، موقع بلدي، الاثنين ٢٤ آب ٢٠١٥. (الموقع المذكور يمكن عدّه رديفاً للموقع الرئيسي لأحرار الشام).

٨ – بحسب ما نشره الناطق باسم الحركة «أحمد قره علي» على صفحته الشخصية على موقع «فيسبوك» فإن المهندس مهنّد المصري، أو أبو يحيى الغاب (الحموي)، هو من مواليد قلعة المضيق ١٩٨١، درس الهندسة المدنية في جامعة اللاذقية، اعتقل مع أبي عبد الله الحموي وأبي طلحة وعدد من قيادات الحركة عام ٢٠٠٧ في سجن صيدنايا وخرجوا في بداية الثورة عام ٢٠١١. مهند المصري المعروف بأبي يحيى الحموي، التحق بالثورة منذ البدايات، وكان أحد المؤسسين لحركة أحرار الشام وقائداً لكتيبة عمر ابن الخطاب، ثم تولى منصب أمير للواء الخطاب كما شغل في السابق منصب أمير لقطاع ريف حماة ضمن حركة أحرار الشام. وشكل أول سرية في الغاب لكتائب أحرار الشام وهو من المؤسسين للأحرار في الغاب، استلم قيادة لواء الخطاب ثم قيادة قطاع ريف حماة. وبعد مقتل قيادات أحرار الشام قبل عام شغل أبو يحيى الحموي منصب نائب الأمير العام أبو جابر، قبل أن يتم اختياره من قبل مجلس شورى الحركة أميراً عاماً، بعد اعتذار هاشم الشيخ أبو جابر عن التمديد.

وأركانه، مشدّداً في الوقت نفسه على أن «الغزو الروسيّ» لسوريا سيكون مصيره الفشل.

وشدّد «المصري» على أنّ «أحرار الشام» حركة إسلاميّة إصلاحيّة تحريريّة، تعمل على تحرير سوريا أرضاً وشعباً وتجتهد في إصلاح المجتمع السوريّ وتسعى إلى بناء دولة العدل والقانون والمؤسّسات التي تحكم بشرع الله.

ويبدو أن المصري (أبو يحيى الحموي) تمّ اختياره كـ«رجل المرحلة» لقربه من الاستخبارات التركيّة، وقدرته على الإمساك بالحركة ومنع الانشقاقات داخلها، وانتمائه إلى منطقة الغاب في حماه التي تعتبر مسقط رأس غالبيّة قادة «أحرار الشام»، وبسبب موقفه السلبيّ من تنظيم «القاعدة»، وبخاصّة فرعها في سوريا «جبهة النصرة».

**ثالثاً، إعادة هيكلة الجناح العسكري**

يوم الاثنين ٢٤ آب ٢٠١٥ أصدرت «أحرار الشام» بياناً أعلنت فيه عن «إعادة هيكلة جناحها العسكريّ، ليكوّن نواة جيش نظاميّ»، و«بدء تشكيل قوّة مركزيّة تحت مسمّى (كتائب صقور الشام)». وأعلنت الحركة شروط الانتساب، وهي: «أولاً أن لا يتجاوز عمر المجاهد ٣٠ عاماً بالنسبة للمقاتلين، و ٣٥ عاماً بالنسبة لقادة المجموعات، وثانياً أن يكون ملتزماً دينيّاً وغير مجاهر بالمعاصي، وثالثاً أن يكون مُزكى من ثقة وذا سيرة حسنة، ورابعاً أن يكون لائقاً صحيّاً، وخامساً أن يتفرّغ كليّاً للعمل في القوّة المركزيّة، وسادساً أن يحظى بموافقة لجنة القبول، وسابعاً أن يكون جاهزاً للتدريب الدائم واتّباع الدورات التخصّصية التي تقرّرها قيادة الجناح». ومن الشروط أيضاً: «أن يلتزم الشخص بعد الانضمام الى القوّة بالسمع والطاعة وبالعمل في أيّ منطقة تقتضيها مصلحة الحاجة، وأخيراً أن يخضع لنظام الخدمة والإجازات المقرّر في القوّة». وأشارت الحركة إلى أنّ عناصر القوّة المركزيّة سيتقاضون منحة شهريّة مقدارها ١٥٠ دولاراً «تكفي عائلاتهم بالموادّ الإغاثيّة المتوفّرة».

وفي أواخر شهر تشرين الأول ٢٠١٥ عزل مجلس شورى حركة أحرار الشام القائد العسكريّ العامّ للحركة «أبو صالح الطحّان»، مع قرار بتأجيل الإعلان عن هذا القرار؛ نظراً للارتدادات السلبيّة التي يمكن أن تترتّب عليه. ويعد الطحّان من أبرز المتشدّدين داخل الحركة، ويميل إلى الفكر القاعديّ فيها، وقد جاء عزله بمثابة ضربة قويّة للتيار المتشدّد، ورسالة انفتاحيّة جديدة باتّجاه من يعنيهم الأمر. وبعبارة أخرى، جاء كدفعة تدخل في حساب الجانب التركيّ والقطريّ ضمن صفقة التفاوض بشأن أحرار الشام ودورها في المرحلة المقبلة.

**رابعاً، الانفتاح على الغرب**

قدّمت الحركة عبر مسؤول العلاقات الخارجيّة فيها «لبيب النّحاس» في مقالتين في الواشنطن بوست الأميركية والتلغراف البريطانية مشروع الحركة القادم، واقتصاره على الحدود السوريّة، وحقوق السنّة الأكثريّة، مع عدم هدر حقوق الأقليّات، في وقت يُخيّر فيه الشعب السوريّ بين الاستبداد وإرهابه والتطرّف وإجرامه.

حملت المقالتان مؤشرّات بالغة الأهميّة بدلالاتها، وفي مقدّمها محاولة أميركا، بدفع تركيّ وقطريّ، تلميع صورة حركة «أحرار الشام»، والإيحاء بإمكانيّة التواصل مع هذه الحركة، باعتبارها معارضة معتدلة، علماً أن الولايات المتحدة تدرج هذه الجماعة، إلى جانب «جبهة النصرة» و«داعش» وغيرها ضمن لائحة الإرهاب، وبالتالي، فتح الباب أمام أحرار الشام للقيام بدور فاعل في المسار السوريّ، عسكريّاً وسياسيّاً، رغم الحذر غير الخفيّ من الجانب الأميركي نحوها.

ففي عددها الصادر من يوم الجمعه ٢٠١٥/٠٧/١٠، أبرزت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركيّة، وعلى صفحتها الأولى، كلاماً لمسؤول العلاقات الخارجيّة في حركة «أحرار الشام» لبيب النّحاس وصف فيه الاستراتيجيّة الأميركيّة في حربها ضد النّظام السوريّ بأنّها فاشلة وغير واضحة، واعتبر أنّ «أحرار الشام» هي مثال جيّد للمعارضة المعتدلة؛ فاسم حركته يعني «رجال سوريا الأحرار»، وقدّم الحركة على أنّها «جماعة إسلاميّة سنيّة ضمن تيّار الأغلبيّة، يقود هذه الجماعة سوريّون يقاتلون من أجل السوريّين. وقال «نحن نقاتل من أجل تحقيق العدالة للشعب السوريّ،

ومع ذلك تمّ اتهامنا كذباً بوجود علاقات تنظيميّة مع «القاعدة» وبتبني فكرها».

وقال «نحن نؤمن أنّ سوريا تحتاج إلى مشروع وطنيّ جامع، لا يمكن أن تتحكّم به أو تنجزه جهة أو جماعة واحدة، ولا يجب أن يرتبط الحلّ بإيديولوجيا واحدة. نحن نؤمن بتحقيق التوازن بين الطموحات المشروعة للأغلبيّة في سوريا وحماية الأقليّات وتمكينهم من المشاركة ولعب دور إيجابي في بناء مستقبل سوريا. نحن نؤمن بمستقبل وسطيّ معتدل لسوريا، يحافظ على الدولة وإصلاح المؤسّسات فيها، بما يخدم كلّ السوريين..»، مشيراً إلى انعدام التواصل الحقيقي من المجتمع الدولي، واستعداد الحركة للحوار معه.

ويبدو واضحاً من الانتقادات التي وجّهها النّحاس أنّه يطالب الإدارة الأميركيّة بتغيير استراتيجيّتها تجاه حركته، ورفع اسمها عن لائحة الإرهاب ونفي ارتباطها بنظيم القاعدة، والتعامل معها كمعارضة معتدلة، وإعادة فتح قنوات الحوار والتواصل، والتنسيق المتبادل بشأن سوريا، وتقديم ما تحتاجه حركته من دعم.

وكان اللافت محاولة النّحاس تقديم حركة أحرار الشام للإدارة الأميركيّة بوصفها الجهة القادرة على تولي مهمّة مواجهة تنظيم «داعش»، وذلك في سياق حديثه عن القبول بأنّ الأيديولوجيّة المتطرّفة لتنظيم «داعش» لن تهزم إلا ببديل سنّي محلّي معتدل، يحدّده السوريّون أنفسهم، وليس وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة.

لقد ترك التوجّه الجديد لـ«أحرار الشام» تداعيات في أوساط ما يسمى بالجماعات «الجهاديّة» الأخرى، وعرّضها لانتقادات قاسية، واتهامات في عقيدتها وانتمائها الإسلامي، مثل «أبو قتادة الفلسطيني» الذي وصف المقالات بالفاشلة، معتبراً أنّ الحركة ستصل «لتوريط مستقبليّ خبيث، وهو أنّها مستعدّة لمقاتلة التيّار الجهاديّ كلّه مقابل قبول أوراق اعتماد». فيما ردّ هاشم الشيخ (أبو جابر) القائد العام [السابق] للحركة على تلك الانتقادات بتغريدات على موقع التواصل الاجتماعيّ تويتر «حركة أحرار الشام الإسلاميّة، سياسيّاً حركة ودينيّاً إسلاميّة وبتلازمهما صرنا أحراراً، كما وضّح أن «السياسة بلا دين علمانيّة لا توافق هويّتنا، والدين بلا سياسة رهبانيّة ابتدعها من عجزت فهومهم عن إدراك كليّات الدّين ومقاصده»، وطالب الشيخ بـ«ارتقاء بالخطاب التقليديّ لمستوى الهدي النبوي في إيصال ما نريد على قدر فهوم الآخرين وبإدراك مستفيد من تدافعهم البيني».

وبذلك، تمكّنت حركة أحرار الشام الإسلاميّة من بناء منظومة جديدة ضمن الخطاب السلفيّ والثوريّ أيضاً، ترفض مشروع القاعدة في سوريا، وتعتبره وبالاً على الشعب السوري؛ كونه يعطي مبررات للمجتمع الدولي للوقوف في وجه ثورته، وهذا لا يعني عدم التعاون مع جبهة النصرة فيما يخدم مصلحة الثورة ككلّ من إسقاط النّظام السوري، مثل غرفة عمليات (جيش الفتح)، كما أنّ الحركة تقاتل تنظيم داعش، وتُوجد بديلاً سنيّاً معتدلاً، له حضوره في المجتمع السوريّ ولا يلغي دور الأقليات، ويستطيع أن يمارس السياسة ضمن البيئة التي خرجت منها الثورة. استطاعت الحركة في خطابها أن تعطي تركيا في حملتها العسكرية ضد حزب العمال الكردستاني وداعش، مبرّراً لدعمها في إزاحة تنظيم الدولة (داعش) من ريف حلب الشرقي حتى الرقّة وإدارة تلك المناطق، والتخلّص من حلم الدولة الكرديّة على حدود تركيا بوجود حركة إسلاميّة ذات قوّة على الأرض، وتتسم بالوطنيّة والاعتدال، مع عدم التخلّي أبداً عن شرط إسقاط النّظام.

واللافت أنّه بالتزامن مع المقالات المذكورة، نقلت صحيفة «التايمز» البريطانيّة أنّ تركيا بدأت تمدّ جبهة أحرار الشام في سوريا التي تحارب ضدّ كلّ من تنظيم داعش الإرهابيّ وقوات بشار الأسد بالأسلحة، مشيرة إلى أنّ مقاتلي الجبهة أكّدوا تلقّيهم شحنة أسلحة من الجانب التركي. ووصفت الصحيفة مجموعة «أحرار الشام» بأنّها تحالف مشكّل من متمرّدين يحاربون ضدّ تنظيم داعش وقوّات الأسد داخل حلب وشمال المدينة.

وكشفت الصحيفة في خبرها أنّ جبهة الشام أصدرت فتوى، اعتبرت فيها أنّ توجّه إدارة التنظيم للتعاون مع كلّ من أميركا وتركيا في الحرب على داعش أمر مشروع. كما نقلت الصحيفة في خبرها آراء تشارلز ليستر الخبير المحلّل بمعهد بروكينجز بالدوحة، حيث وصف تقديم أسلحة لجبهة أحرار الشام بأنّه قرار حكيم.

وأشارت الصحيفة إلى أنّ المجموعات التي تشكّل الجبهة قريبة من تركيا وعلى علاقات معها، لافتة إلى أنّ مقاتلي جبهة الشام سيؤدّون دوراً أكثر تأثيراً في حرب تركيا وأميركا على داعش بجانب الدعم الجوي[٩].

**خامساً، عدم استبعاد الحلّ السياسي**

في الثاني من تشرين الأول ٢٠١٥ شاركت حركة أحرار الشام وحوالي ٧١ فصيلاً مسلّحاً بإصدار بيان مشترك حول مبادرة المبعوث الأمميّ ستيفان دي ميستورا فيما يخصّ مبادرة «مجموعات العمل»، التزم فيه المجتمعون بالعمل من أجل حلّ سياسيّ، شرط منع إعادة إنتاج النّظام الحالي، والتعامل بإيجابيّة كاملة مع المبعوث الأمميّ، على أن يسبق ذلك خطوات حقيقيّة من المجتمع الدولي لكسب ثقة الشعب السوريّ، واعتبار أن الرئيس بشار الأسد لا مكان له في أي عمليّة سياسيّة، وحلّ الأجهزة الأمنيّة وإعادة هيكلة المؤسّسة العسكريّة، مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على مؤسّسات الدولة ومنع تفكّكها، والحيلولة دون وقوع البلاد في المزيد من الفوضى، وتنفيذ القرارات الأمميّة. وختم البيان برفض مجموعات العمل في صيغتها الحاليّة من ناحية عمليّة وقانونيّة حتى يتمّ أخذ النّقاط السابقة بعين الاعتبار وتوضيح النّقاط الغامضة[١٠].

---

٩ – تركيا بدأت تسليح جبهة أحرار الشام، ١٨ آب ٢٠١٥.

١٠ – قامت المكاتب السياسية للفصائل الثورية المقاتلة الموقعة أدناه والهيئة السياسية للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية بدراسة متأنية لمقترحات المبعوث الأممي السيد ستيفان دي ميستورا فيما يخص مبادرة «مجموعات العمل». وبعد مراجعة معمقة للواقع الإقليمي والدولي المحيط بالساحة السورية، والتطورات الأخيرة بالغة الحساسية والتأثير سواءً ميدانياً أو سياسياً، ومن باب حرصنا على ألا يتم إطلاق عملية سياسية جديدة فاشلة تكلف السوريين الآلاف من الشهداء والمزيد من الدمار لما تبقى من البنى التحتية للبلاد كما حدث سابقاً، فإننا نؤكد على النقاط التالية:

أولاً: أكد المجتمعون على التزامهم بالعمل من أجل حل سياسي يحقق أهداف الثورة ويحافظ على هوية الشعب السوري ويقصر من أمد معاناة أبنائه، ولكن في الوقت نفسه يجب أن تضمن هذه العملية السياسية منع إعادة إنتاج النظام الحالي بصورة جديدة أو إعطاء رأس النظام وأركانه الذين تلطخت أيديهم بدماء السوريين أي دور في عملية سياسية انتقالية أو على المدى البعيد.

ثانياً: تعاملت قوى الثورة والمعارضة دائماً بإيجابية كاملة مع المبعوث الأممي على الرغم من غياب أي نتائج عملية على الأرض وتؤكد على استمرار تعاطيها الإيجابي مع الأمم المتحدة بما يحقق مصلحة الشعب السوري.

ثالثاً: لقد فقد الشعب السوري الثقة تماماً بقدرة المجتمع الدولي على دعم قضيته بعد خمس سنوات من الجرائم المرتكبة بحقه من قبل النظام السوري بدعم عسكري إيراني وغطاء سياسي روسي وشرعية دولية ما زال المجتمع الدولي مصراً على توفيرها للنظام المجرم، فيجب أخذ هذا الغضب الشعبي بعين الاعتبار في أي عملية سياسية، وأن يسبقها خطوات حقيقية لكسب ثقة الشعب السوري أهمها: الإعلان بشكل صريح وفعلي عن استثناء رأس النظام وأركانه من أي دور في العملية السياسية.

رابعاً: نعتبر أن بشار الأسد لا مكان له في أي عملية سياسية للأسباب القانونية والعملية التالية:

- كان وصول بشار الأسد إلى الحكم بطريقة توريثية غير شرعية.
- تحول بشار الأسد إلى مجرم حرب عندما بدأ بقتل أبناء الشعب السوري الذين خرجوا سلمياً للمطالبة بحقوقهم حتى وصل إلى استعمال السلاح الكيماوي ضدهم ، كل هذه الجرائم تم توثيقها من قبل منظمات دولية حيادية بطريقة لا تحتمل الشك أو الانحياز.
- أظهر بشار الأسد ونظامه عجزاً كاملاً عن الدخول في أي عملية سياسية أو الالتزام بهدن معلنة أو التعاون مع المجتمع الدولي في مسائل إنسانية بحتة مما أفقده أي مصداقية وثقة.
- فشل بشار الأسد ونظامه في حربه المزعومة ضد «تنظيم الدولة» وعن تحقيق أي انتصار ميداني أو فكري على داعش، بل إن المعلومات على الأرض تدل على تنسيق كامل بين الطرفين، وعلى دور للنظام في ظهور داعش.

**الفصائل الثوريّة المقاتلة الموقِّعة للبيان:**

[حركة أحرار الشام، جيش الاسلام، الاتّحاد الإسلامي لأجناد الشام، ثوار الشام، الجبهة الشاميّة، فيلق الرحمن، فيلق حمص، جيش المجاهدين، تجمّع فاستقم كما أمرت، أجناد الشام، حركة نور الدين زنكي، حركة تحرير حمص، الجيش الأول في الجنوب، الفيلق الأول، جيش اليرموك، جيش التوحيد – حمص، جيش القبائل، الفرقة ١٠١، الفرقة ١٣، فرقة عمود حوران، فرقة العشائر، فرقة تحرير الشام، الفرقة الوسطى، فرقة ١٦ مشاة، فرقة السلطان مراد، الفرقة الأولى الساحلية، فرقة فجر التوحيد، فرقة صلاح الدين، فرقة ٢٤ مشاة، فرقة القادسية، فرقة شباب السنّة، فرقة أسود السنّة، فرقة فلوجة حوران، فرقة ١٨ آذار، فرقة ٦٩ مهام خاصة، فرقة أحرار نوى، فرقة خيالة الزيدي، فرقة شهداء الحراك، جبهة الشام الموحّدة، جبهة الأصالة والتنمية، جبهة أنصار الإسلام، جبهة الإنقاذ المقاتلة، لواء صقور جبل الزاوية، لواء فرسان الحق، لواء فاروق الجنوب، لواء شهداء الإسلام، لواء الفتح، لواء الصديق، لواء تلبيسة، لواء أحباب عمر، لواء أحفاد الرسول، لواء جسر حوران، لواء توحيد كتائب حوران، لواء طفس، لواء المهاجرين والأنصار، لواء يوسف العظمة، لواء عمر المختار، لواء شباب الهدى، اللواء العاشر في الساحل، ألوية الفرقان، ألوية وكتائب صقور الغاب، أنصار الشام، أبناء القادسية، كتائب الصفوة، تجمع ألوية العمري، ألوية تجمع إزرع، الفوج ١١١، الفوج الأول، فوج المدفعيّة، ألوية الجيش الحر في الحسكة، فيلق الشام].

---

• فتح بشار الأسد أبواب سوريا أمام الميليشيات الأجنبية التي ارتكبت أسوأ المجازر الطائفية وحرض في نفس الوقت على الخطاب الطائفي، مما ينزع عنه أي أهلية للمشاركة في أي عملية سياسية تهدف إلى توحيد البلاد.

• أخيراً: قام بشار الأسد بتسليم سوريا إلى الاحتلالين الإيراني والروسي في خيانة لا تغتفر لتاريخ البلد ومستقبله وكرامته.

خامساً: نعتبر أن حل الأجهزة الأمنية وإعادة هيكلة المؤسسة العسكرية المسؤولة عن قتل الشعب السوري بطريقة مباشرة وموثقة بند أساسي في أي حل سياسي ، فهذه المنظومة العسكرية المتفككة والمنهارة والتي تحولت الى ميليشيات طائفية بقيادة إيرانية لا يمكن أن تكون نواةً لجيش وطني حقيقي ولا يمكن للشعب السوري أن يثق بها لتحقيق الأمن والاستقرار لمستقبل البلاد .

سادساً: إن تشكيل «هيئة الحكم الانتقالية» هي عملية انتقال للسلطة كاملة لا مكان فيها لبشار الأسد ورموز وأركان نظامه، مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على مؤسسات الدولة التي هي ملك للشعب السوري ومنع تفككها ، والحيلولة دون وقوع البلاد في المزيد من الفوضى.

سابعاً: نعتبر أن طرح مبادرة «مجموعات العمل» بهذا الشكل هو تجاوز لمعظم قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالشأن السوري لا سيما القرارات ٢١١٨ و ٢١٦٥ و ٢١٣٩، وهي –أي مبادرة «مجموعات العمل»– عملية سياسية معقدة تتطلب بناء الثقة بين الشعب السوري من جهة والطرف الراعي للعملية السياسية ـ الأمم المتحدة ـ من جهة أخرى ، وهذا لن يتحقق إلا عن طريق تنفيذ هذه القرارات الأممية التي قام النظام السوري بتعطيلها.

ثامناً: نعتبر أن «مجموعات العمل» بصيغتها الحالية والآليات غير الواضحة التي تم طرحها توفر البيئة المثالية لإعادة إنتاج النظام ، وأن «مجموعات العمل» يجب أن تُبنى على مبادئ أساسية واضحة بما يخص معايير المشاركين فيها والتصور النهائي للحل.

تاسعاً: نرفض التصعيد العسكري الروسي المباشر في سوريا والذي يتحمل مسؤوليته النظام السوري الذي حوّل سوريا إلى مرتع للتدخل الأجنبي، وساهم في ذلك صمت المجتمع الدولي، وأن هذا التصعيد قد يشكل نقطة لا عودة في العلاقة بين الشعب السوري من جهة وروسيا من جهة أخرى ويظهر بطريقة لا تحتمل الشك أن روسيا لم تكن جادة أو صادقة في التزامها بالعملية السياسية، وأنها لم تكن يوماً وسيطاً نزيهاً وإنما طرفاً من أطراف الصراع وحليفاً أساسياً للنظام المجرم.

عاشراً: تجدد قوى الثورة ومؤسساتها التزامها أمام شعبنا الحبيب باستنفاذ الوسع في الجهد لتوحيد الصف والكلمة وتصحيح ما اعترى مسيرة الثورة من أخطاء لا نبرئ أنفسنا منها، وأن تبقى هذه الثورة مخلصة لمبادئها ولدماء شهدائها، وأننا سنوازن بين تحقيق أهدافنا والحفاظ على ثوابتنا وتخفيف آلام شعبنا والتسريع بخلاصهم ما استطعنا، ونسخر قدراتنا السياسية والعسكرية لهذا الهدف.

وعليه فإن مجموعات العمل في صيغتها الحالية تعتبر مرفوضة من ناحية عملية وقانونية حتى يتم أخذ النقاط السابقة بعين الاعتبار وتوضيح النقاط الغامضة.

## علاقة إخوان سوريا بأحرار الشام

يوم الاثنين ٢٤ آب ٢٠١٥ أجرى المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا محمد حكمت وليد حواراً مع صحيفة العهد التابعة للمكتب الإعلاميّ للجماعة، تحدّث فيه عن دور لحركة أحرار الشام «في النّضال والتضحيات لا ينكر»، ووجود قواسم مشتركة بين الجماعة والحركة «ما يجعلها أرضاً خصبة لتعاون كبير، وفرصة لخلق التكامل بين السياسيّ والعسكريّ».

اعتبر المراقبون أنّ التصريح، الذي تناقلته وسائط التواصل الاجتماعيّ، يحمل في مضمونه رغبة للجماعة، كتيّار سياسيّ إسلاميّ رئيسيّ وفاعل في سوريا، في «الاندماج» مع حركة «أحرار الشام»، التي تمثّل قوّة عسكريّة كبيرة وذات امتداد واسع على الأرض السوريّة، ما أثار موجة من الانتقادات والتساؤلات عمّا يرتّب سياسيّاً في الشمال السوريّ، في ظلّ الحديث عن مشروع تركيّ وموافقة الحركة بإقامة منطقة عازلة على الحدود السورية التركيّة، تمتدّ من أعزاز إلى الفرات شمالي مدينة حلب.

لكنّ الجماعة لم تتأخّر في إصدار توضيح حول ما ورد في تصريحات مراقبها العام، فأصدر مكتبها الإعلاميّ بيّاناً في اليوم التالي (٢٥ آب ٢٠١٥) نفى فيه وجود مثل تلك الرّغبة، وأنّ ما جرى هو اقتطاع جزء من تصريح المراقب العام ونشره، وأنّ ما عبّر عنه هو رؤية تجاه «جميع الفصائل السوريّة الفاعلة على اختلافها، وهو تنوّع، إذا أحسن السوريّون استثماره، سيفضي إلى عمل سوريّ مشترك».

وفي أيّ حال، من يرجع إلى أرشيف موقع جماعة الإخوان في سوريا وما يصدر عنها من مواقف وتصريحات تشير إلى علاقة مستقرّة بأحرار الشام، كما هو الحال مع فصائل أخرى معاديّة للنّظام في سوريا مختلفة في مشاربها وارتباطاتها الإقليميّة وتوجّهاتها الإسلاميّة، مع المحافظة على خصوصيّاتها كتيّار سياسيّ مستقل.

## تأرجح الخيارات القاعديّة لأحرار الشام

تأخّرت «جبهة النصرة» في نعي الملّا محمد عمر مجاهد الذي يفترض أنه «وليّ أمر زعيمها» أيمن الظواهري. وكان لافتاً للمراقبين مسارعة «حركة أحرار الشام» إلى نعيه (١ آب ٢٠١٥)، وتحدّثت في بيانها عن بصمات الملّا عمر في العمل الإسلاميّ، منها الثّبات على المبادئ، والالتحام بالشعب، واستثمار الانتصارات العسكريّة بعمل سياسيّ رشيد، والبصمة الهامّة هي محاربة الغلوّ والتفريط بآنٍ واحد.

وتباينت وجهات النّظر حول تفسير مسارعة «أحرار الشام» إلى إصدار بيان النعي بين وجهتي نظر:

وجهة النظر الأولى، تقول بأنّ ذلك مؤشّر على وجود صراع بين تيارين داخلها، وأنّ بيان النعي صدر نتيجة ضغوط التيّار المتشدّد داخلها.

وجهة النظر الثانية، ترى أنّ الأمر هو على العكس تماماً؛ لأنّ التيار المتشدّد في «أحرار الشام»، والذي يتطابق مع توجّهات «القاعدة»، قد تكون لديه العديد من التحفّظات على سياسة وأداء الملّا عمر في عدد من القضايا التنظيميّة والسياسيّة والعسكريّة، وأنّ التيار الإصلاحي داخل حركة «أحرار الشام» هو الذي دفع باتّجاه ذلك؛ فهذا التيار عينه كانت على نقاط معيّنة في سياسة الرجل بإمكان التيّار إسقاطها على الحالة السوريّة، والاستفادة منها في أمور عدّة.

ولا يخفى أنّ تركيز الحركة على البصمات التي تناولها بيان نعيها يبدو بمثابة تعبير عن التوجّهات العامّة نفسها التي تعلن الحركة عن اتّباعها، والتي تتلخّص بالثّبات على المبادئ الإسلاميّة، والالتحام بالشعب، وتبنّي المشروع الوطنيّ، ورفض أقلمة العمل الثوريّ، وتجنّب أيّ نشاط عسكريّ خارجيّ، والحفاظ على وحدة الدولة ومؤسّساتها، ما يشي بمحاولة الحركة تقديم نفسها نموذجاً محاكياً لتجربة الملّا عمر، وأنّها الفصيل الذي يجسّد تلك التجربة ويعبّر عنها. وبعبارة أخرى، أتت الخطوة بمثابة دعوة للالتفاف حول الحركة من جانب الشعب السوريّ والقوى والفصائل الأخرى التي ترى في المبادئ التي ذكرت للملّا عمر نموذجاً.

## الموقف الأميركي من أحرار الشام

تُبرز الولايات المتّحدة موقفاً متشدّداً إزاء ما تسمّيه «الحركات المتشدّدة»، ومنها حركة «أحرار الشام»، وتعلن رفضها التعامل مع هذه الحركة انطلاقاً من الخلفيّة نفسها. ومع ذلك، فإنّ اهتمام الإدارة الأميركيّة وكفاحها منذ فترة طويلة بفتح قنوات تعاون، ولو بحذر، مع قوى معارضة محلّية، يمكن الاعتماد عليها في الصراع الدائر في سوريا، دفع فئة من مسؤولي ودبلوماسيّي الإدارة الأميركيّة إلى اعتبار أنّ التعامل مع هذه الحركة أمر ضروريّ في حسم المعركة مع تنظيم «الدولة الإسلاميّة» وبناء مستقبل سوريا، وذلك حسب تقرير نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» يوم الثلاثاء ٢٥ آب ٢٠١٥؛ فحركة «أحرار الشام»، على ما ذكرته الصحيفة، ظهرت خلال الشهور الأخيرة كـ«واحدة من قوى المعارضة الأكثر قوة في سوريا؛ حيث تضمّ الآلاف من المقاتلين، وتتمتّع بنفوذ سياسيّ، وعلاقات وثيقة مع القوى الإقليميّة الرئيسيّة»، وتعهّدت بمحاربة تنظيم «الدولة الإسلاميّة»، ودعت إلى التعامل مع الغرب.

ومن أصحاب هذا الرأي سفير أميركا السابق في سوريا «روبرت إس فورد»، الذي علّل حيثيّات رأيه لـ«نيويورك تايمز»، بأنّ هذه الحركة هي «في منطقة رماديّة، وفي الحرب الأهليّة إذا لم تكن راغباً في إجراء محادثات مع فصائل المنطقة الرماديّة، فلن يكون أمامك إلا عدد قليل من الناس الثمينين للحديث معهم». وأضاف مشدّداً: «لا أدعو لدعم أحرار الشام ماديّاً، وليس بالتأكيد لتقديم مساعدة ماديّة قاتلة لها، لكن نظراً لتواجد الحركة البارز في الجبهات الشماليّة والوسطى (في سوريا)، فسيكون لها دور كبير في أيّ محادثات سلام؛ لذلك يجب علينا إيجاد قناة لبدء محادثات معها».

لكنّ الصحيفة لا تخفي هواجس الأميركيّين إزاء فتح قنوات مماثلة، استناداً إلى التجربة ذات النتائج السيّئة مع «المجاهدين» في أفغانستان، الذين دعمتهم الولايات المتّحدة في ثمانينيّات القرن الماضي، والذين شكّلوا لاحقاً تنظيم القاعدة».

وتأتي التوجّهات الأميركية الجديدة بعد فشلها في إيجاد إلا عدداً قليلاً من الجماعات المعارضة المعتدلة القوّية التي يمكن للإدارة الأميركيّة الاعتماد عليها، وخيبة الأمل الكبيرة التي تشعر بها الإدارة الأميركيّة إزاء الانتكاسة الكبيرة التي أصابت الجماعات المعارضة المسلّحة التي دعمها الغرب وخصّص لها برنامج تدريب.

هذا، مضافاً إلى أن حركة «أحرار الشام»، على ما نقلت «نيويورك تايمز» عن مسؤول بارز في إدارة «أوباما» قوله «إنّ حركة أحرار الشام تسعى إلى كسب القبول والاحترام».

«لكنّ مجموعة أخرى من المسؤولين الأمريكيّين اعتبروا أنّ هذه الجماعة (أحرار الشام) متطرّفة وتعاونها مع جبهة النصرة، التّابعة لتنظيم القاعدة السوري، يبقى عقبة رئيسيّة»[١١].

وبخلاصة، إنّ حركة أحرار الشام، ما لم تحلّ بها انتكاسة كبيرة في بنيتها التنظيميّة والعسكريّة، سوف تكون الجماعة الأكثر حضوراً في المعادلة السياسيّة السوريّة في المرحلة المقبلة، بالنظر إلى اتّساع علاقاتها مع الجماعات والقوى المسلّحة المعارضة العديدة، وتوجّهاتها البراغماتيّة، وخطابها المتجدّد الأكثر اتّجاهاً نحو الاعتدال، وسعيها لنيل الاحترام والتأييد الشعبيّ والإقليميّ الواسع، ونيلها الرضا والدعم التركيّ والقطريّ، والأبرز قبولاً لدى الإدارة الأميركيّة، ولو بحذر. لكنّ هذا الحضور يواجه أيضاً منافسة قويّة من جانب فصائل معارضة مسلّحة أخرى، في طليعتها جبهة النصرة وداعش.

---

١١ – خالد المطيري، أكد على تواجد الحركة البارز في وسط وشمال سوريا متوقعاً دوراً كبيراً لها في أي محادثات سلام، الخليج الجديد وصحيفة نيويورك تايمز، ٢٦–٠٨–٢٠١٥.

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

the Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسّسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي
الأبحاث والمعلومات، وتهتم بالقضايا
الاجتماعية والاقتصادية وتواكب المسائل
الاستراتيجية والتحوّلات العالمية المؤثّرة.


**هاتف:** ٠١/٨٣٦٦١٠

**فاكس:** ٠١/٨٣٦٦١١

**خليوي:** ٠٣/٨٣٣٤٣٨

**البريد الإلكتروني:**

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

**الرمز البريدي:**

Baabda 10172010

P.O. Box: 24 / 47

Beirut - Lebanon



**صادر عن:** المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

**إعداد:** الدراسات الاجتماعية

**تاريخ النشر:** شباط ٢٠١٦

**العدد:** الأول